الفصل الثانى

أقوال العلماء فى الملائكة

وقال سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى وصف الملائكة [1]: ثم خلق سبحانه لإسكان سمواته وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته، خلقًا بديعًا من ملائكته، وملأ بهم فروج فجاجها، وحشا بهم فتوق أجوائها، وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم فى حظائر القدس، وسترات الحجب، وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذى تستك منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها. وأنشأهم على صور مختلفات، وأقدار متفاوتات، "أولى أجنحة" تسبح جلال عزته، لا ينتحلون ما ظهر فى الخلق من صنعه، ولا يدعون أنهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به، ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ جعلهم الله فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته. وأمدهم بفوائد المعونة، وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة، وفتح لهم أبوابا ذللا إلى تماجيده، ونصب لهم منارًا واضحة على أعلام توحيده، لم تثقلهم موصرات الآثام، ولم ترتحلهم عقب

---

(١) نهج البلاغة، ص١٢٨ – ١٣١.

الليالى والأيام، ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم، ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم، ولا قدحت قادحة الإحن فيما بينهم، ولا سلبتهم الحيرة ما لاقى من معرفته بضمائرهم، وما سكن من عظمته وهيبة جلالته فى أثناء صدورهم، ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم. ومنهم من هو فى خلق الغمام الدلح، وفى عظم الجبال الشمخ، وفى فترة الظلام الأيهم، ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهى كرايات بيض قد نفذت فى مخارق الهواء، وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية، قد استفرغتهم أشغال عبادته، ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته، وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه، ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره. قد ذاقوا حلاوة معرفته، وشربوا بالكأس الروية من محبته، وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته، فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم، ولم ينفد طول الرغبة إليه مادة تضرعهم، ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم، ولم يتولهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم، ولا تركت لهم استكانة الإجلال نصيبًا فى تعظيم حسناتهم، ولم تجر الفترات فيهم على طول دءوبهم، ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم، ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم، ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم، ولم تختلف فى مقاوم الطاعة مناكبهم، ولم يثنوا إلى راحة التقصى فى أمره رقابهم، ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات، ولا تتنصل فى هممهم خدائع الشهوات. قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم، ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم، لا يقطعون أمد غاية عبادته، ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته، إلا مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته، لم تنقطع أسباب الشفقة منهم، فنوا فى جدهم، ولم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السعى على اجتهادهم. لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم، ولو استعظموا ذلك

لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم، ولم يختلفوا فى ربهم باستحواذ الشيطان عليهم. ولم يفرقهم سوء التقاطع، ولا تولاهم غل التحاسد، ولا تشعبتهم مصارف الريب، ولا اقتسمتهم أخياف الهمم، فهم أسراء إيمان لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا فتور، وليس فى أطباق السماء موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد أو ساعٍ حافد، يزدادون على طول الطاعة بربهم علمًا، وتزداد عزة ربهم فى قلوبهم عظمًا.

وقال فى خلق الملائكة[1]:

خلق الملائكة

ثم فتق ما بين السموات العلا، فملأهن أطوارًا من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان. ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده، والسدنة لأبواب جنانه. ومنهم الثابتة فى الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم. ناكسة دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة، وأستار القدرة. لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر.

الملائكة الكرام

من ملائكة أسكنتهم سماواتك، ورفعتهم عن أرضك؛ هم أعلم خلقك

---

(١) نهج البلاغة، المرجع السابق، ص٤١ – ٤٢.

بك، وأخوفهم لك، وأقربهم منك؛ لم يسكنوا الأصلاب، ولم يضمنوا الأرحام، ولم يخلقوا ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾، ولم يتشعبهم ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾؛ وإنهم على مكانهم منك، ومنزلتهم عندك، واستجماع أهوائهم فيك، وكثرة طاعتهم لك، وقلة غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك لحقروا أعمالهم، ولزروا على أنفسهم، ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك، ولم يطيعون حق طاعتك.

وقال الإمام الغزالى[1] فى معرفة الملائكة:

الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بأنفسها مختلفة بالحقائق اختلافًا يكون بين الأنواع.

مثال ذلك: القدرة فإنها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفا اللون واللون، والقدرة والعلم أعراض قائمة بغيرها، فكذلك بين الملك والشيطان والجن اختلاف ومع ذلك، فكل واحد جوهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف بين الجن والملك فلا يرى أهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف بين الفرس والإنسان، أو الاختلاف فى الأعراض كالاختلاف بين الإنسان الناقص والكامل، وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان، وهو أن يكون النوع واحدًا والاختلاف واقعًا فى العوارض، كالاختلاف بين الخير والشرير، والاختلاف بين النبى والولى، والظاهر أن اختلافهم بالنوع والعلم عند الله تعالى، وهذه الجواهر المذكورة لا تنقسم. أعنى أن محل العلم بالله تعالى واحد لا ينقسم، فإن العلم الواحد لا يحل إلا فى محل واحد وحقيقة الإنسان كذلك، فالعلم والجهل بشىء واحد فى محل واحد متضادان وفى المحلين غير متضادين، وأما أن هذا الجوهر غير

---

(١) المضنون به على غير أهله، بيروت، ١٩٨٦.

منقسم وهل هو متحيز أم لا؟ فهذا الكلام عائد إلى معرفة الجزء الذى لا يتجزأ، فإن استحال الجزء الذى لا يتجزأ فهذا الجوهر غير منقسم ولا متحيز، وإن لم يستحل الجزء الذى لا يتجزأ فيمكن أن يكون هذا الجوهر متحيزًا، وقد قال قوم: لا يجوز أن يكون غير منقسم ولا متحيز، فإن الله تعالى غير منقسم ولا متحيز، فما الذى يفصل هذا من ذلك، وهذا غير مبرهن عليه؛ لأنه ربما تباينا فى حقيقة الذات، وإن سلب عنهما الانقسام والتحيز والأمور المكانية وتلك سُلوب والاعتبار بالحقائق؛ لأن ما سلب عن الحقائق كالعرضين المختلفين بالحد والحقيقة الحالين فى محل واحد، فإن إيجاب احتياجهم إلى المحل وكونهما فى المحل لا يفيد تماثلهما، فكذلك سلب الاحتياج إلى المحل والمكان لا يفيد اشتراك الشيئين، ويمكن أن تشاهد هذه الجواهر. أعنى جواهر الملائكة وإن كانت غير محسوسة، وهذه المشاهدة على ضربين: إما على سبيل التمثل كقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾. وكما كان النبى عليه الصلاة والسلام يرى جبريل فى صورة دحية الكلبى، القسم الثانى: أن يكون لبعض الملائكة بدن محسوس، كما أن نفوسنا غير محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها الخاص بهذا، فكذلك بعض الملائكة، وربما كان هذا البدن المحسوس موقوفا على إشراق نور النبوة كما أن محسوسات عالمنا هذا موقوف عند الإدراك على إشراق نور الشمس، وكذا فى الجن والشياطين.

وقال الإمام الغزالى فى (إحياء علوم الدين) فى بيان نعمة الله تعالى فى خلق الملائكة عليهم السلام: ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله فى خلق الملائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحى إليهم، ولا تظنن أنهم مقتصرون فى أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة فى ثلاث طبقات: الملائكة الأرضية والسماوية وحملة

العرش، فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والغذاء الذى ذكرناه دونما يجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرهما. واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذى إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك، وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف، وذلك الغذاء يصير دما فى آخر الأمر، ثم يصير لحمًا وعظمًا، وإذا صار لحمًا وعظمًا تم اغتذاؤك، والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار، فهى لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها، ومجرد الطبع لا يكفى فى ترددها فى أطوارها، كما أن البر بنفسه لا يصير طحينًا ثم عجينًا ثم خبزًا مستديرًا مخبوزًا إلا بصناع، فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحمًا وعظمًا وعروقًا وعصبا إلا بصناع، والصناع فى الباطن هم الملائكة كما أن الصناع فى الظاهر هم أهل البلد، وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغى أن تغفل عن نعمة الباطنة، فأقول: لابد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم، فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه، ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء فى جواره، ولابد من ثالث يخلع عليه صورة الدم، ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم، ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء، ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلًا، ولا بد من سابع يرعى المقادير فى الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته، وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته، فإنه لو جمع مثلًا من الغذاء على أنف الصبى ما يجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقته، بل ينبغى أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها وإلى الحدقة مع صفائها وإلى الأفخاذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث

القدر والشكل، وإلا بطلت الصورة وربا بعض المواضع وضعف بعض المواضع، بل لو لم يراع هذا الملك العادل فى القسمة والتقسيم فساق إلى رأس الصبى وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجلين مثلًا لبقيت تلك الرجل كما كانت فى حد الصغر وكبر جميع البدن، فكنت ترى شخصًا فى ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبى فلا ينتفع بنفسه البتة "فمراعاة هذه الهندسة فى هذه القسمة مفوضة إلى ملك من الملائكة، ولا تظنن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه، فإن محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدرى ما يقول؛ فهذه هى الملائكة الأرضية، وقد شغلوا بك وأنت فى النوم تستريح وفى الغفلة تتردد، وهم يصلحون الغذاء فى باطنك ولا خبر لك منهم، وذلك فى كل جزء من أجزائك الذى لا يتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك، تركنا تفصيل ذلك للإيجاز، والملائكة الأرضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى، ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش، والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السماوات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام، والأخبار الواردة فى الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب إلى جانب[1] أكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به.

---

(١) وهذا حديث الأخبار الواردة فى الملائكة الموكلين بالسماوات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب إلى جانب...؛ ففى الصحيحين من حديث أبى ذر فى قصة الإسراء قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح، وفيه: أتى السماء الثانية فقال لخازنها: افتح... الحديث، ولهما من حديث أبى هريرة: "إن لله ملائكة سياحين يبلغوننى عن أمتى السلام" وفى =

فإن قلت: فهلا فوضت هذه الأفعال إلى ملك واحد ولم أفتقر إلى سبعة أملاك، والحنطة أيضًا تحتاج إلى من يطحن أولًا ثم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيًا، ثم إلى من يصب الماء عليه ثالثًا، ثم إلى من يعجن رابعًا، ثم إلى من يقطعه كرات مدورة خامسًا، ثم إلى من يرقها رغفانا عريضة سادسًا، ثم إلى من يلصقها بالتنور سابعًا، ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنا كأعمال الإنس ظاهرًا؟ فاعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الإنسان، وما من واحد منهم إلا وهو وحدانى الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم فى تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس، فإن البصر لا يزاحم السمع فى إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما يتنازعان الشم؛ وليس كاليد والرجل فإنك قد تبطش بأصابع الرجل بطشًا ضعيفًا فتزاحم به اليد، وقد

= الصحيحين من حديث عائشة فى قصة عرضه نفسه على عبد يا ليل: "فنادانى ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين... الحديث" ولهما من حيث أنس "إن الله وكل بالرحم ملكا... الحديث" وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمى "ما من نبت ينبت إلا وتحته ملك موكل حتى يحصد... الحديث" وفيه محمد بن صالح الطبرى وأبو بحر البكراوى واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف. وللطبرانى من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف "إن لله ملائكة ينزلون فى كل ليلة يحسون الكلال عن دواب النزاة إلا دابة فى عنقها جرس" وللترمذى وحسنه من حديث ابن عباس: قالت اليهود يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد قال "ملك من الملائكة موكل بالسحاب" ولمسلم من حديث أبى هريرة: "بينما رجل بفلاة من الأرض سمع صوتًا من سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماء فى حرة.. الحديث".

تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التى هى آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذى يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز، فإن هذا نوع من الاعوجاج، والعدول عن العدل سبب اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه، فإنه ليس وحدانى الصفة فلم يكن وحدانى الفعل، ولذلك نرى الإنسان يطيع الله مرة ويعصيه مرة أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته، وذلك غير ممكن فى طباع الملائكة، بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية فى حقهم، فلا جرم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، والراكع منهم راكع أبدًا، والساجد منهم ساجد أبدًا، والقائم قائم أبدًا لا اختلاف فى أفعالهم ولا فتور، ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه، وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك، فإنك مهما جزمت الإرادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف فى طاعتك مرة ومعصيتك أخرى، بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلًا بإشارتك، فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه، إذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحًا وإطباقًا والملائكة أحياء عالمون بما يعملون؛ فإذن هذه نعمة الله عليك فى الملائكة الأرضية والسماوية.

وقال ابن حزم فى الكلام عن الملائكة عليهم السلام[1]، وفى سياق حديثه فى تعبدهم: قال أبو محمد: - رضى الله عنه - قد نص الله عز وجل على أن الملائكة متعبدون قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾[2]. ونص تعالى على أنه أمرهم بالسجود لآدم وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ

(١) الفصل فى الملل والنحل، طبعة بيروت، ٣/ ٣٠١ - ٣٠٨.
(٢) سور النحل، آية رقم ٥٠.

مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾. إلى قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (١). وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ (٢).

قال أبو محمد: - رضى الله عنه - نص الله تعالى على أنهم مأمورون منهيون متوعدون مكرمون، موعودون بإيصال الكرامة أبدا مصرفون فى كتاب الأعمال وقبض الأرواح، وأداء الرسالة، إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بما فى العالم الأعلى والأدنى، وغير ذلك، مما خالقهم عز وجل به عليم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ (٣). فأخبر عز وجل أن جبريل عليه السلام مطاع فى السماوات والأرض أمين هنالك، فصح أن هنالك أوامر وتدبير وأمانات وطاعة، ومراتب ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون بقوله عز وجل: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾. وبقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (٤). وبقوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾. فنص تعالى على أنهم كلهم لا يسأمون من العبادة ولا يفترون من التسبيح والطاعة لا ساعة ولا وقتا، ولا يستحسرون من ذلك، وهذا

---

(١) سورة الأنبياء، آية ٢٦ - ٢٩.

(٢) سورة النحل، آية رقم ٤٩ - ٥٠.

(٣) سورة التكوير، آية رقم ٢٩ - ٢١.

(٤) سورة الأنبياء، آية رقم ٢٠.

خبر عن التأييد لا يستحيل أبدًا، ووجب أنهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتذاذهم بذلك ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون قد حقت لهم ولاية ربهم عز وجل أبد الأبد بلا نهاية فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ (١). فكفر تعالى من عادى أحدا منهم فإن قال قائل: كيف لا يعصون والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ (٢).

قلنا: نعم، هم متوعدون على المعاصي كما توعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ يقول له ربه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ (٣). وقد علم عز وجل أنه عليه السلام لا يشرك أبدًا، وأن الملائكة لا يقول أحد منهم أبدا، إنى إله من دون الله، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ (٤). وهو تعالى قد برأهن، وعلم أنه لا يأتى أحد منهن بفاحشة أبدًا بقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ (٥). لكن الله تعالى يقرر ما شاء ويشرع ما شاء ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فأخبر عز وجل بحكم هذه الأمور لو كانت، وقد علم أنها لا تكون كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ (٦). وكما قال: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ

---

(١) سورة فصلت، آية رقم ٣٨.
(٢) سورة البقرة، آية رقم ٩٨.
(٣) سورة الأنبياء، آية رقم ٢٩.
(٤) سورة الزمر، آية رقم ٦٥.
(٥) سورة الأحزاب، آية رقم ٣٠.
(٦) سورة النور، آية رقم ٢٦.

أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾[1]. وكما قال: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾[2]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾[3]. وكما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[4]، وكل هذا قد علم الله تعالى أنه لا يكون أبدًا وبالله تعالى التوفيق.

فإن قال قائل: إن الملائكة مأمورون لا منهيون، قلنا: هذا باطل؛ لأن كل مأمور بشيء فهو منهى عن تركه، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾. يدل على أنهم منهيون عن أشياء يخافون من فعلها، وقال عز وجل: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾[5].

قال أبو محمد: - رضى الله عنه - وهذا مبطل ظن من ظن أن هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل، وقد أعاذ الله عز وجل الملائكة من مثل هذه الصفة بما ذكرنا آنفا أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبإخباره تعالى أنهم لا يسأمون، ولا يفترون، ولا يستحسرون عن طاعته عز وجل، فوجب يقينا أنه ليس فى الملائكة البتة عاص لا بعمد ولا بخطأ ولا بنسيان وقال عز وجل: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[6]. فكل الملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن، والرسل معصومون فصح أن

---

(١) سورة الأنبياء، آية رقم ١٧.
(٢) سورة الزمر، آية رقم ٤.
(٣) سورة الأنعام، آية رقم ٢٨.
(٤) سورة الإسراء، آية رقم ٩٥.
(٥) سورة الحجر، آية رقم ٨.
(٦) سورة فاطر، آية رقم ١.

هاروت وماروت المذكورين فى القرآن لا يخلو أمرهما من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما أن يكونا جنين من أحياء الجن، كما روينا عن خالد بن أبى عمران[1] وغيره وموضعهما حينئذ فى النحو بدل من الشياطين كأنه قال: ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت ويكون قوله: ما أنزل على الملكين نعتا بمعنى لم ينزل على الملكين ببابل ويتم الكلام هنا.

وإما أن يكونا ملكين أنزل الله عز وجل عليهما شريعة حق ثم مسخهما فصارت كفرا كما فعل بشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فتمادى الشياطين على تعليمهما وهى بعد كفر، كأنه قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ ثم ذكر عز وجل ما كان يفعله ذلك الملكان فقال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[2].

قال أبو محمد: - رضى الله عنه - فقول الملكين إنما نحن فتنة فلا تكفر قول صحيح ونهى عن المنكر، وأما الفتنة، فقد تكون ضلالا، وتكون هدى قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام أنه قال لربه: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ

---

(١) هو: خالد بن أبى عمران التجيبى قاضى أفريقية، قال ابن حبان: واسم أبى عمران: زيد روى عن عبد الله بن عمر مرسلًا وعن عبد الله بن الحارث وغيرهم، وعن يحيى بن سعد الأنصارى وعبيد الله بن أبى جعفر. قال ابن سعد: ثقة، وقال ابن يونس: كان فقيه أهل المغرب ومفتى أهل مصر والمغرب، وكان مستجاب الدعوة توفى عام ١٢٥هـ (تهذيب التهذيب ج٣ ص١١١).

(٢) سورة البقرة، آية رقم ١٠٢.

هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ ﴾[1]. فصدق الله عز وجل فى قوله، وصح أن يهدى بالفتنة من يشاء ويضل بها من يشاء وقال تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2].

وليس كل أحد يضل بماله وولده، فقد كان للنبى – صلى الله عليه وسلم – أولاد ومال، وكذلك لكثير من الرسل عليهم السلام، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾[4]. فهذه سقيا الماء التى هى جزاء على الاستقامة قد سماها الله تعالى فتنة، فصح أن من الفتنة خيرًا وهدى، ومنها ضلالًا وكفرًا، والملكان المذكوران كذلك كانا فتنة يهتدى من اتبع أمرهما فى ألا يكفر، ويضل من عصاهما فى ذلك وقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ حق لأن أتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام هذه صفته يؤمن الزوج فيفرق إيمانه بينه وبين امرأته التى لم تؤمن، وتؤمن هى فيفرق إيمانها بينها وبين زوجها الذى لم يؤمن فى الدنيا والآخرة، وفى الولاية، ثم رجع تعالى إلى الخبر عن الشياطين فقال عز وجل: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[5]. وهذا حق، لأن الشياطين فى تعليمهم ما قد نسخه الله عز وجل وأبطله ضارون من أذن الله تعالى

---

(١) سورة الأعراف، آية رقم ١٥٥.
(٢) سورة الأنفال، آية رقم ٢٨.
(٣) سورة المدثر، آية رقم ٣١.
(٤) سورة الجن، آية رقم ١٧.
(٥) سورة البقرة، آية رقم ١٠٢.

باستضراره به، وهكذا إلى آخر الآية. وما قال عز وجل قط أن هارون وماروت علما سحرًا ولا كفرًا ولا أنهما عصيا، وإنما ذكر ذلك فى خرافة موضوعة، لا تصح عن طريق الإسناد أصلا، ولا هى أيضا مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هى موقوفة على من دونه عليه الصلاة والسلام فسقط التعلق بها وصح ما قلناه والحمد لله رب العالمين.

وهذا التفسير الأخير هو نص الآية دون تكلف تأويل، ولا تقديم ولا تأخير، ولا زيادة فى الآية، ولا نقص منها، بل هو ظاهرها والحق المقطوع به عند الله تعالى يقينًا، وبالله تعالى التوفيق.

فإن قيل: كيف تصح هذه الترجمة أو الأخرى..؟ وأنتم تقولون: إن الملائكة لا يمكن أن يراهم إلا نبى، وكذلك الشياطين، ولا فرق فكيف تعلم الملائكة الناس..؟ أو كيف تعلم الجن الناس..؟

قلنا- وبالله التوفيق -: أما الملائكة فيعلمون من أرسلوا إليه من الأنبياء خاصة، وينهونهم عن الكفر كما نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن الكفر فى نص القرآن.

وأما الشياطين: فتعلم الناس بالوسوسة فى الصدور وتزيين الباطل أو يتمثل فى صورة إنسان كما تمثل يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك[1] بن جعشم قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) هو: سراقةٍ بن مالك بن جعشم المدلجى، الكنانى، أبو سفيان صحابى له شعر، كان ينزل قديدا، له ١٩ حديثًا، وكان فى الجاهلية قائفًا، أخرجه أبو سفيان ليقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج مهاجرًا، وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨هـ، وتوفى عام ٢٤هـ.

وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ﴾ [1].

وأما الحور العين فنسوان مكرمات مخلوقات فى الجنة لأولياء الله عز وجل، عاقلات مميزات مطيعات لله تعالى فى النعيم خلقن فيه ويخلدن بلا نهاية لا يعصين البتة.

والجنة إذا دخلها أهلها المخلدون فليست دار معصية، وكذلك أهل الجنة لا يعصون فيها أصلًا، بل هم فى نعيم وحمد الله تعالى، وذكر له والتذاذ بأكل وشرب ولباس ووطء لا يختلف فى ذلك من أهل الإسلام اثنان وبذلك جاء القرآن والحمد لله رب العالمين.

وأما الولدان المخلدون فهم أولاد الناس الذين ماتوا قبل البلوغ كما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يخلق خلقًا يملأ الجنة بهم، فنحن نقر بهذا ولا ندرى أمتعبدون مطيعون أم مبتدؤن فى الجنة، والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة. وأما الجن فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بدين الإسلام هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من الأمة فكافرهم فى النار مع كافرنا، وأما مؤمنهم فقد اختلف الناس فيهم فقال أبو حنيفة: لا ثواب لهم، وقال ابن أبى ليلى وأبو يوسف[2] وجمهور

---

(١) سورة الأنفال، آية رقم ٤٨.

(٢) هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى، الكوفى، البغدادى أبو يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه، كان فقيهًا علامة لزم أبا حنيفة فغلب عليه الرأى، وولى القضاء ببغداد أيام المهدى والهادى والرشيد، ومات فى خلافته ببغداد، وهو على القضاء عام ١٨٢ هـ، وهو أول من دُعى (قاضى القضاة) وأول من وضع الكتب فى أصول الفقه – من كتاب الخراج، وأدب القاضى، والرد على مالك بن أنس. (الأعلام).

الناس إنهم فى الجنة وبهذا نقول لقول الله عز وجل: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [1]. ولقوله حاكيا عنهم ومصدقا لمن قال ذلك منهم: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾ [2]. وقوله تعالى حاكيا عنهم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [3]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [4] إلى آخر السورة، وهذه صفة تعم الجن والإنس عموما لا يجوز البتة أن يخص منها أحد النوعين فيكون فاعل ذلك قائلا على الله ما لا يعلم، وهذا حرام، ومن المحال الممتنع أن يكون الله تعالى يخبرنا بخبر عام، وهو لا يريد إلا بعض ما أخبرنا به، ثم لا يبين ذلك لنا، هذا هو ضد البيان الذى ضمنه الله عز وجل لنا فكيف وقد نص عز وجل على أنهم آمنوا فوجب أنهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولابد.

قال أبو محمد: - رضى الله عنه - وإذاً الجن متعبدون فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضلت على الأنبياء بستٍّ)[5]. فذكر فيها أنه عليه السلام بعث إلى الأحمر والأسود وكان من قبله من الأنبياء إنما يبعث إلى قومه خاصة، وقد نص عليه السلام على أنه بعث إلى الجن وقال عز وجل: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٣٣.
(٢) سورة الجن، آية ١٣.
(٣) سورة الجن، ١.
(٤) سورة البينة، آية ٧ - ٨.
(٥) رواه البخارى: ٦/ ٩٠ فى الجهاد باب قول النبى: "نصرت بالرعب مسيرة شهر" وفى التعبير باب رؤيا الليل، ورواه مسلم رقم ٥٢٣ فى المساجد فى فاتحته، والترمذى رقم ١٥٥٣ فى السير، باب ما جاء فى الغنيمة، والنسائى ٦ - ٣، ٤ فى الجهاد باب وجوب الجهاد.

﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [1] وإذا الأمر كما ذكرنا فلم يبعث إلى الجن نبى من الإنس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ليس الجن من قوم أنسٍ وباليقين ندرى أنهم قد أنذروا فصح أنهم جاءهم أنبياء منهم قال تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [2].

وقال ابن كثير [3] فى باب خلق الملائكة وصفاتهم:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ وقال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ۝٣٨﴾ وقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا

---

(١) سورة الجن، آية ١٤ – ١٥.

(٢) سورة الأنعام، آية رقم ١٣٠.

(٣) البداية والنهاية، ١/ ٤٠ – ٥٥.

لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ وقال تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ والآيات فى ذكر الملائكة كثيرة جدًّا يصفهم تعالى بالقوة فى العبادة وفى الخلق وحسن المنظر وعظمة الأشكال وقوة الشكل فى الصور المتعددة كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآيات فذكرنا فى التفسير ما ذكره غير واحد من العلماء من أن الملائكة تبدو لهم فى صورة شباب حسان امتحانًا واختبارًا حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر. وكذلك كان جبريل يأتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى صفات متعددة فتارة يأتى فى صورة دحية بن خليفة الكلبى، وتارة فى صورة أعرابى، وتارة فى صورته التى خلق عليها. له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب كما

رآه على هذه الصفة مرتين، مرة منهبطا من السماء إلى الأرض، وتارة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى. وهو قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ أى جبريل كما ذكرناه عن غير واحد من الصحابة، منهم ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ أى إلى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ وقد ذكرنا فى أحاديث الإسراء فى سورة سبحان أن سدرة المنتهى فى السماء السابعة، وفى رواية فى السادسة أى أصلها وفروعها فى السابعة فلما غشيها من أمر الله ما غشيها، قيل: غشيها نور الرب جل جلاله، وقيل: غشيها فراش من ذهب، وقيل: غشيها ألوان متعددة كثيرة غير منحصرة، وقيل: غشيها الملائكة مثل الغربان، وقيل غشيها من نور الله تعالى فلا يستطيع أحد أن ينعتها، أى من حسنها وبهائها، ولا منافاة بين هذه الأقوال إذ الجميع ممكن حصوله فى حال واحدة، وذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ثم رفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كالقلال، وفى رواية: كقلال هجر، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران، فأما الباطنان فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات، وتقدم الكلام على هذا فى ذكر خلق الأرض وما فيها من البحار والأنهار. وفيه ثم رفع لى البيت المعمور وإذا هو يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم. وذكر أنه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مستندًا ظهره إلى البيت المعمور، وذكرنا وجه المناسبة فى هذا أن البيت المعمور هو فى السماء السابعة بمنزلة الكعبة فى الأرض، وقد روى سفيان الثورى وشعبة عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن ابن الكوا سأل على بن أبى طالب عن البيت المعمور

فقال: هو مسجد فى السماء يقال له الضُراح، وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الأرض يصلى فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة لا يعودون إليه أبدًا، وهكذا روى على بن ربيعة وأبو الطفيل عن على مثله، وقال الطبرانى أنبأنا الحسن بن علوية القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البيت المعمور فى السماء يقال له الضُراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الأرض يصلى فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة لا يعودون إليه أبدًا)، وهكذا روى على ابن ربيعة وأبو الطفيل عن على مثله، وقال الطبرانى أنبأنا الحسن بن علوية القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر أو حذيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البيت المعمور فى السماء يُقال له الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحياله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط فإن له فى السماء حرمة على قدر حرمة مكة). يعنى فى الأرض وهكذا قال العوفى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع بن أنس والسدى وغير واحد. وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومًا لأصحابه: (هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: مسجد فى السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها؛ يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم). وزعم الضحاك أنه تعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيل إبليس لعنه الله كان يقول سدنته وخدامه منهم، والله أعلم.

وقال آخرون: فى كل سماء بيت يعمره ملائكته بالعبادة فيه ويفدون إليه بالنَّوبة والبدل كما يعمر أهل الأرض البيت العتيق بالحج فى كل عام، والاعتمار فى

كل وقت والطواف والصلاة فى كل آن، قال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى أوائل كتابه المغازى، حدثنا أبو عبيد فى حديث مجاهد "أن الحرم حرم مناه (يعنى قدره) من السماوات السبع والأرضين السبع، وأنه رابع أربعة عشر بيتًا فى كل سماء بيت وفى كل أرض بيت لو سقطت سقط بعضها على بعض" ثم روى مجاهد قال؛ مناه؛ أى مقابله وهو حرف مقصور. ثم قال: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى سليمان مؤذن الحجاج سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إن الحرم محرم فى السماوات السبع مقداره من الأرض – وإن بيت المقدس مقدس فى السماوات السبع مقداره من الأرض كما قال بعض الشعراء.

إن الـذى سـمك الـسماء بنـى لهـا بيتـا دعائمـه أشـد وأطـول

واسم البيت الذى فى السماء بيت العزة، واسم الملك الذى هو مقدم الملائكة فيها إسماعيل، فعلى هذا يكون السبعون ألفًا من الملائكة الذين يدخلون فى كل يوم إلى البيت المعمور ثم لا يعودون إليه. آخر ما عليهم (أى لا يحصل لهم نوبة فيه إلى آخر الدهر) يكونون من سكان السماء السابعة وحدها. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مجاهد عن مورق عن أبى ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل) فقال أبو ذر: (والله لوددت أنى شجرة تعضد) ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث إسرائيل، فقال الترمذى: حسن غريب، ويروى عن أبى ذر موقوفًا، وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا حسين بن عرفة المصرى حدثنا عروة بن عمران الرقى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم

ابن مالك عن عطاء بن أبى رباح عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما فى السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لا نشرك بك شيئا) فدل هذان الحديثان على أنه ما من موضع فى السماوات السبع إلا وهو مشغول بالملائكة وهم فى صنوف من العبادة. منهم من هو قائم أبدًا، ومنهم من هو راكع أبدًا، ومنهم من هو ساجد أبدًا ومنهم من هو فى صنوف أخر، والله أعلم بها. وهم دائمون فى عبادتهم وتسبيحهم وأذكارهم وأعمالهم التى أمرهم الله بها، ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾. وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها، قالوا: وكيف يصفون عند ربهم؟ قال يكملون الصف الأول ويتراصون فى الصف). وقال: (فضلنا على الناس بثلاث. جعلت لنا الأرض مسجدًا، وتربتها لنا طهورًا، وجعلت صفوفها كصفوف الملائكة) وكذلك يأتون يوم القيامة بين يدى الرب جل جلاله صفوفًا كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ ويقفون صفوفًا بين يدى ربهم عز وجل يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾. والمراد بالروح ههنا بنو آدم قاله ابن عباس والحسن وقتادة. وقيل: ضرب من الملائكة يشبهون بنى آدم فى الشكل. قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش. وقيل: جبريل. قاله الشعبى وسعيد بن جبير والضحاك، وقيل: ملك يقال له الروح بقدر جميع المخلوقات. قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله: يوم يقوم الروح، قال هو ملك من أعظم الملائكة خلقًا، وقال ابن جرير: حدثنى محمد بن خلف العسقلانى حدثنا داود بن الجراح عن أبى حمزة عن الشعبى عن علقمة عن ابن مسعود قال: الروح فى السماء الرابعة

هو أعظم السماوات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكًا من الملائكة يحيى يوم القيامة صفًّا وحده، وهذا غريب جدًّا، وقال الطبرانى: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم المصرى حدثنا ابن وهب بن رزق أبو هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعى حدثنى عطاء عن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن لله ملكًا لو قيل له التقم السماوات والأرضين بلقمة واحدة لفعل، تسبيحه سبحانك حيث كنت) وهذا أيضًا حديث غريب جدًّا. وقد يكون موقوفًا، وذكرنا فى صفة حملة العرش عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) رواه أبو داود وابن أبى حاتم ولفظه مخفق الطير سبعمائة عام.

وقد ورد فى صفة جبريل عليه السلام أمر عظيم قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ قالوا كان من شدة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط وكن سبعا بمن فيها من الأمم وكانوا قريبا من أربعمائة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات، وما لتلك المدن من الأراضى والمعتملات والعمارات وغير ذلك، رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى. وقوله ذو مرة أى خلق حسن وبهاء وسناء كما قال فى الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ أى جبريل رسول من الله (كريم) أى حسن المنظر (ذى قوة) أى له قوة وبأس شديد (عند ذى العرش مكين) أى له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله ذى العرش المجيد، (مطاع ثم) أى مطاع فى الملأ الأعلى (أمين) أى ذى أمانة عظيمة، ولهذا كان هو السفير بين الله وبين أنبيائه عليهم السلام الذى ينزل عليهم

بالوحى. فيه الأخبار الصادقة والشرائع العادلة. وقد كان يأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل عليه فى صفات متعددة كما قدمنا. وقد رآه على صفته التى خلقه الله عليها مرتين صلى الله عليه وسلم له ستمائة جناح كما روى البخارى عن طلق ابن غنام عن زائدة الشيبانى قال: سألت زرا عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ قال: حدثنا عبد الله يعنى ابن مسعود أن محمدا صلى الله عليه وسلم أى جبريل له ستمائة جناح.

وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن راشد عن أبى وائل عن عبد الله قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل[1] من الدر والياقوت ما الله به عليم. وقال أحمد أيضا: حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود فى هذه الآية ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه التهاويل والدر والياقوت)، وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين[2] حدثنى عاصم بن بهدلة سمعت شقيق بن سلمة يقول: سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح) فسألت عاصمًا عن الأجنحة فأبى أن يخبرنى قال: فأخبرنى بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب، وهذه الأسانيد قوية انفرد بها أحمد.

---

(١) قوله: (التهاويل) أى الأشياء المختلفة الألوان والزاوية على ما فى النهاية رأى جبريل ينتشر من جناحه الدر والتهاويل.

(٢) قوله: (الحسين) هو ابن واقد مولى عبد الله بن عامر بن كريز أبو عبد الله المروزى قاضيها.

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثنى حسين حدثنى حصين حدثنى شقيق سمعت ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتانى جبريل فى خضر تعلق به الدر)، إسناده صحيح، وقال ابن جرير: حدثنا ابن بزيع البغدادى قال: حدثنا إسحاق بن منصور، قال: حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض، إسناد جيدًا قوى، وفى الصحيحين من حديث عامر الشعبى عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾. فقالت: أنا أول هذه الأمة. سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال: إنما ذاك جبريل لم يره فى صورته التى خلق عليها إلا مرتين رآه منهبطًا من السماء إلى الأرض سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء والأرض.

وقال البخارى: حدثنا أبو نعيم حدثنا عمر بن ذر (ح) وحدثنى يحيى بن جعفر حدثنا وكيع عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية. وروى البخارى عن حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة. وقال البخارى[1]: حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخر العصر شيئًا فقال له عروة: أما إن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: أعلم ما

---

(١) فى كتاب بدء الخلق نقلًا عن (محمود الإمام).

تقول يا عروة قال: سمعت بشير بن أبى مسعود يقول: سمعت أبا مسعود يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: نزل جبريل فأمنى فصليت معه، ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه يحسب بأصابعه خمس صلوات.

ومن صفة إسرافيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش وهو الذى ينفخ فى الصور بأمر ربه نفخات ثلاثة، أولاهن نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث كما سيأتى بيانه فى موضعه من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن توفيقه، والصور قرن ينفخ فيه، كل دارة منه كما بين السماء والأرض، وفيه موضع أرواح العباد حين يأمره الله بالنفخ للبعث فإذا نفخ تخرج الأرواح تتوهج فيقول الرب جلال جلاله: وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى البدن الذى كانت تعمره فى الدنيا فتدخل على الأجساد فى قبورها فتدب فيها كما يدب السم فى اللديغ فتحيى الأجساد وتنشق عنهم الأجداث فيخرجون منها سراعًا إلى مقام المحشر كما سيأتى تفصيله فى موضع.

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له، قالوا: كيف نقول يا رسول الله قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا)، رواه أحمد والترمذى من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى، وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سعد الطائى عن عطية العوفى عن أبى سعيد قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور فقال: عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام، وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن عمر أن ابن أبى ليلى حدثنى عن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل بناحية إذ انشق أفق السماء فأقبل إسرافيل يدنو من الأرض ويتمايل، فإذا ملك قد مثل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بين

نبى عبد أو ملك نبى قال: فأشار جبريل إلى بيده (أن تواضع) فعرفت أنه لى ناصح فقلت: عبد نبى، فعرج ذلك الملك إلى السماء فقلت: يا جبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا فرأيت من حالك ما شغلنى عن المسألة فمن هذا يا جبريل؟ فقال: هذا إسرافيل عليه السلام خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافا قدميه لا يرفع طرفه، بينه وبين الرب سبعون نورا ما منها من نور يكاد يدنو منه إلا احترق، بين يديه لوح، فإذا أذن الله فى شىء من السماء أو فى الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر، فإن كان من عملى أمرنى به، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به، قلت: يا جبريل وعلى أى شىء أنت؟ قال: على الريح والجنود، قلت وعلى أى شىء ميكائيل قال على النبات والقطر قلت: وعلى أى شىء أنت قال: على الريح والجنود، قلت: وعلى أى شىء ملك الموت؟ قال: على قبض الأنفس وما ظننت أنه نزل إلا لقيام الساعة وما الذى رأيت منى إلا خوفًا من قيام الساعة، هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفى صحيح مسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلى يقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم)، وفى حديث الصور أن إسرافيل أول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ فى الصور، وذكر محمد ابن الحسن النقاش أن إسرافيل أول من سجد من الملائكة فجوزى بولاية اللوح المحفوظ، حكاه أبو القاسم السهيلى فى كتابه (التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأعلام).

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ عطفهما على الملائكة لشرفهما فجبريل ملك عظيم قد تقدم ذكره، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن أشراف الملائكة

المقربين. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان حدثنا ابن عباس عن عمارة بن غزنة الأنصارى أنه سمع حميد بن عبيد مولى بنى المعلى يقول: سمعت ثابتًا البنانى يحدث عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل: (ما لى لم أر ميكائيل ضاحكًا قط فقال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار)، فهؤلاء الملائكة المصرح بذكرهم فى القرآن وفى الصحاح هم المذكورون فى الدعاء النبوى: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل) فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأمم، وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق فى هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله، وقد روينا أنه ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها فى موضعها من الأرض، وإسرافيل موكل بالنفخ فى الصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور، ويجازى الكفور، فذاك ذنبه مغفور وسعيه مشكور، وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور، وهو يدعو بالويل والثبور، فجبريل عليه السلام يحصل بما ينزل به الهدى، وميكائيل يحصل بما هو موكل به الرزق، وإسرافيل يحصل بما هو موكل به النصر والجزاء، وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه فى القرآن ولا فى الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته فى بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم.

وقد قال الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها منه فيلقوها فى أكفان تليق بها كما قد بسط عند قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾.

ثم يصعدون بها فإن كان صالحة فتحت لها أبواب السماء وإلا غلقت دونها

وألقى بها إلى الأرض قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد أنهم قالوا: إن الأرض بين يدى ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقد ذكرنا أن ملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عمله إن كان مؤمنًا أتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب طيبة الأرواح، وإن كان كافرًا فبالضد من ذلك، عياذا بالله العظيم من ذلك، وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن أبى يحيى المقرى حدثنا عمر وابن شمر قال سمعت جعفر بن حمد قال: سمعت أبى يقول: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: (يا ملك الموت ارفق بصاحبى فإنه مؤمن)، فقال ملك الموت: (يا محمد طب نفسًا وقر عينًا فإنى بكل مؤمن رفيق، واعلم أن ما فى الأرض بيت مدر ولا شعر فى بر ولا بحر إلا وأنا أتفحصهم فى كل يوم خمس مرات حتى إنى أعرف بصغيرهم وكبيرهم بأنفسهم والله يا محمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها)، قال جعفر بن محمد: أبى هو الصادق بلغنى بتفحصهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضر عند الموت فإذا كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فى تلك الحال العظيمة، هذا حديث مرسل وفيه نظر وذكرنا فى حديث الصور من طريق إسماعيل بن رافع المدنى القاص عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث) بطوله، وفيه يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا

جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت، فيقول الله وهو أعلم بمن بقى (فمن بقى)؟ فيقول: بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقى جبريل وميكائيل، فيقول ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول: اسكت فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى فيموتان "ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقى فمن بقى؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله: لتمت حملة عرشى فتموت، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ثم يأتى ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقى: (فمن بقى)؟ فيقول: بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت أنا فيقول الله: أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فمت فيموت فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كان آخرًا كما كان أولًا، وذكر تمام الحديث بطوله رواه الطبرانى وابن جرير والبيهقى، ورواه الحافظ أبو موسى المدينى فى كتاب (الطوالات) [1] وعنده زيادة غريبة وهى قوله فيقول الله له: أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فمت موتًا لا تحيا بعده أبدًا.

ومن الملائكة المسمين فى الحديث (منكر ونكير) عليهما السلام. وقد استفاض فى الأحاديث التى ذكرها فى سؤال القبر، وقد أوردناها عند قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ

(١) قال فى كشف (الظنون الطوالات) للحافظ الكبير أبى موسى محمد بن أبى بكر عمر المدينى المتوفى سنة ٥٨١ وهو فى مجلدين.

ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ وهما فتانا القبر موكلان بسؤال الميت فى قبره عن ربه ودينه ونبيه، ويمتحنان البر والفاجر، وهما أزرقان أفرقان لهما أنياب وأشكال مزعجة وأصوات مفزعة أجارنا الله من عذاب القبر وثبتنا بالقول الثابت آمين، وقال البخارى: حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن وهب حدثنى يونس عن ابن شهاب حدثنى عروة أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم: (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم الأحد، قال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبى صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا). ورواه مسلم من حديث ابن وهب به.

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام: فمنهم حملة العرش، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام، وقد ذكر الله عنهم أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب ما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ

إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

ولما كانت سجاياهم هذه السجية الطاهرة كانوا يحبون من اتصف بهذه الصفة فثبت فى الحديث عن الصادق المصدوق أنه قال: "إذا دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين، ولك بمثل".

ـ ومنهم سكان السماوات السبع يعمرونها عبادة دائبة ليلا ونهارًا صباحًا ومساء كما قال: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾، فمنهم الراكع دائما والقائم دائمًا والساجد دائما، ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة إلى البيت المعمور كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه آخر ما عليهم، ومنهم الموكلون بالجنان وإعداد الكرامة لأهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن ومآكل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ـ وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصرحًا به فى بعض الأحاديث، ومنهم الموكلون بالنار وهم الزبانية، ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك، وهو مقدم على جميع الخزنة، وهم المذكورون فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

ـ ومنهم الموكلون بحفظ بنى آدم كما قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾.

قال الوالبى عن ابن عباس: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وهى الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس: يحفظونه من أمر الله. قال: الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه، وقال مجاهد: ما من عبد إلا وملك موكل بحفظه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، وليس شىء يأتيه يريده إلا قال: وراءك إلا شىء يأذن الله فيه فيصيبه. وقال أبو أسامة[1]: (ما من آدمى إلا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه لذى قدر له. وقال أبو مجاز جاء رجل إلى على فقال: إن نفرًا من مراد يريدون قتلك فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه إن الأجل جنة حصينة).

ـ ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾. قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى فى تفسيره: حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسعر عن علقمة بن يزيد عن مجاهد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجذم حائط أو بعيره

---

(١) وفى نسخة أبو أمامة.

أو يستره أخوه، هذا مرسل من هذا الوجه وقد وصله البزار فى مسنده من طريق جعفر بن سليمان، وفيه كلام عن علقمة عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ينهاكم عن التعرى فاستحيوا من الله والذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل. فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجذم حائط أو بعيره. ومعنى إكرامهم أن يستحى منهم فلا يملى عليهم الأعمال القبيحة التى يكتبونها فإن الله خلقهم كراما فى خلْقهم وأخلاقهم، ومن كرمهم أنه قد ثبت فى الحديث المروى فى الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب، وفيه رواية عن عاصم بن ضمرة عن على (ولا بول) وفى رواية رافع عن أبى سعيد مرفوعا: لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال، وفى رواية مجاهد عن أبى هريرة مرفوعا: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو تمثال، وفى رواية ذكوان أبى صالح السماك عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب أو جرس، ورواه زرارة بن أوفى عنه لا تصحب الملائكة رفقة معهم جرس.

وقال البزار حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادى المعروف بالقلوس حدثنا بيان بن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ملائكة الله يعرفون بنى آدم (وأحسبه قال) ويعرفون أعمالهم فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: أفلح الليلة فلان نجا الليلة فلان، وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه، وقالوا هلك فلان الليلة، ثم قال سلام: أحسبه سلام المدائنى وهو لين الحديث، وقد قال البخارى: حدثنا أبو اليمان حدثنا

شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول: كيف تركتم عبادى فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون، وعن الحسن البصرى عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا فى يوم، فيرى فى أول الصحيفة وفى آخرها استغفارًا إلا قال الله: غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة، والمقصود أن كل إنسان له حافظان اثنان واحد من بين يديه وآخر من خلفه يحفظانه من أمر الله بأمر الله عز وجل، وملكان كاتبان عن يمينه وعن شماله وكاتب اليمين أمير على كاتب الشمال، كما ذكرنا ذلك عند قوله تعالى ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر، حدثنا سفيان حدثنا منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا: وإياك يا رسول الله قال: وإياى ولكن الله أعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بخير)، فيحتمل أن هذا القرين من الملائكة غير القرين بحفظ الإنسان، وإنما هو موكل به ليهديه ويرشده بإذن ربه إلى سبيل الخير وطريق الرشاد كما أنه قد وكل به القرين من الشياطين لا يألوه جهدًا فى الخبال والإضلال. والمعصوم من عصمه الله عز وجل وبالله المستعان.

وقال البخارى: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن والأغر عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد

ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يسمعون الذكر، وهكذا رواه منفردًا به من هذا الوجه، وهو فى الصحيحين من وجه آخر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾، وقال الإمام أحمد: حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم، وحدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أسباط، وقال الترمذى: حسن صحيح قلت وهو منقطع.

وقال البخارى: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر. يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ وقال البخارى: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح، تابعه شعبة وأبو حمزة وأبو داود وأبو معاوية عن الأعمش، وثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، وفى صحيح البخارى حدثنا إسماعيل بلفظ: (إذا قال الإمام آمين فإن الملائكة تقول فى السماء آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)، وفى صحيح البخارى: حدثنا إسماعيل حدثنى مالك عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا: (اللهم ربنا ولك

الحمد)، فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك، وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أو عن أبى سعيد -هو شك- (يعنى الأعمش) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلًا عن كتاب الناس، فإذا وجدوا أقوامًا يذكرون الله فنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله: أى شيء تركتم عبادى يصنعون فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك فيقول: وهل رأونى فيقولون: لا فيقول: كيف لو رأونى فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تحميدًا وتمجيدًا وذكرًا. قال: فيقول: فأى شيء يطلبون فيقولون: يطلبون الجنة فيقول: وهل رأوها فيقولون: لا فيقول: وكيف لو رأوها فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا، قال فيقول: من أى شيء يتعوذون، فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها، فيقولون: لا فيقول: فكيف لو رأوها، فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها هربا وأشد منها خوفًا، قال: فيقول: أشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال: فيقول: إن فيهم فلانًا الخطاء لم يردهم إنما جاء لحاجة فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

وهكذا رواه البخارى عن قتيبة عن جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به، وقال: رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه ورفعه سهيل عن أبيه، وقد رواه أحمد عن عفان عن وهيب عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه كما ذكره البخارى معلقًا عن سهيل. ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد عن وهب به، وقد رواه الإمام أحمد أيضًا عن غندر عن شعبة عن سليمان (هو الأعمش) عن أبى صالح عن أبى هريرة كما أشار إليه البخارى رحمه الله، وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش وابن نمير، أخبرنا

الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه. ومن سلك طريقًا يلتمس به علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه). وكذا رواه مسلم من حديث أبى معاوية، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أبى إسحاق عن الأغر (أبى مسلم) عن أبى هريرة وأبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)، وكذا رواه أيضًا من حديث إسرائيل وسفيان الثورى وشعبة عن أبى إسحاق به نحوه، ورواه مسلم من حديث شعبة والترمذى من حديث الثورى، وقال حسن صحيح، ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن آدم عن عمار بن زريق عن أبى إسحاق بإسناد نحوه، وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة، وفى مسند الإمام أحمد والسنن عن أبى الدرداء مرفوعًا: (وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) أى تتواضع له كما قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾، وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن لله ملائكة سياحين فى الأرض ليبلغونى عن أمتى السلام، وهكذا رواه النسائى من حديث سفيان الثورى وسليمان الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب به، وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى

عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)، وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع وعبده بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به، والأحاديث فى ذكر الملائكة كثيرة جدًّا، وقد ذكرنا ما يسره الله تعالى وله الحمد.

وقد اختلف الناس فى تفضيل الملائكة على البشر على أقوال. فأكثر ما توجد هذه المسألة فى كتب المتكلمين والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم وأقدم كلام رأيته فى هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة أمية بن عمرو ابن سعيد بن العاص أنه حضر مجلسًا لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر: ما أحد أكرم على الله من كريم بنى آدم، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد فقال عراك بن مالك: ما أحد أكرم على الله من ملائكته هم خدمة داريه ورسله إلى أنبيائه، واستدل بقوله تعالى: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠﴾ فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظى: ما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقال: أكرم الله آدم فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وجعل من ذريته الأنبياء والرسل ومن يزوره من الملائكة، فوافق عمر بن عبد العزيز فى الحكم واستدل بغير دليله، وأضعف دلالة ما صرح به من الآية وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مضمونه أنها ليست بخاصة بالبشر، فإن الله قد وصف الملائكة بالإيمان فى قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ وكذلك الجان ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾. ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ قلت: وأحسن ما يستدل به فى هذه المسألة ما رواه عثمان بن سعيد الدارمى عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا وهو أصح، قال: لما خلق الله الجنة قالت الملائكة: يا ربنا اجعل لنا هذه نأكل منها ونشرب، فإنك خلقت الدنيا لبنى آدم، فقال الله: لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له: كن، فكان.